التميز وأثره على المجتمع المدني في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

د/ عبد الرحمن محمد جيلان صغير

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك – كلية التربية المحويت جامعة صنعاء

S3_gelan@hotmail.com

ABSTRACT

فقد تناول هذا البحث: المجتمع المدني في محورين مبتدئًا بتمهيد وضح فيه أحوال المجتمع المدني قبل الهجرة النبوية الشريفة وفيه تم التعريف بموقع المدينة وتسميتها قبل الهجرة ثم تناول سكانها وعلاقات ذلك المجتمع ببعضه وأهم الأنشطة التي مارسها من زراعة وصناعة وتجارة ثم ختم هذا التمهيد بعرض وضح فيه وضع المدينة السياسي قبيل الهجرة الشريفة.

وفي المحور الأول: تناول الباحث تعريف التميز ثم آثار التميز على المجتمع المدني المعنوية والنفسية ودور توجيهات النبيﷺ في تميز مجتمع المدينة وآثارها على الحياة اليومية. **وأما المحور الثاني:** وفيه تناول الباحث آثر التميز في القيادة والإدارة ،ثم آثارها على تطور القيادات العسكرية وبروز المهارات البدنية والقدرة على استخدام السلاح واستخدام التكتيكات العسكرية الجديدة مثل الخندق أو الهجوم المباغت واختيار ميادين القتال وفي الجانب التعليمي تم وتوضيح أساليب النبيﷺ في دفع المتعلم إلى التميز وآثار تعليماته في هذا الجانب على تطور مجتمع المدينة وتقدمه في التحصيل العلمي ودور تلك الأساليب في التحصيل إذ اعتمد النبيﷺ في توصيل العلم إلى أصحابه على السؤال تارة والحوار والمناقشة تارة والدعاء والثناء وغير ذلك وأما في الجانب الاقتصادي والتكافل الاجتماعي تم توضيح فيه سخاء هذا المجتمع وحبه لعمل الخير وأثر هذا التكافل على استقرار مجتمع المدينة.واتبع الباحث المنهج الاستقرائي وفي جانب الاستدلال فقد تم الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة في أغلب النقاط موضحا الحديث صحته ومصدره ورقمه مع الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وتناولها بالشرح والتبسيط. ويمكن للمتتبع لهذا البحث إدراك تلك العوامل التي أثرت في صياغة مجتمع المدينة وساعدته على الظهور في تلك الحقبة الزمنية وظهور تطوره وسموه وعلو مركزه لسمو الغاية والهدف.

12

Abstract:

The Impact OF Excellence on the society of Median during the Era of the Messenger.

(Ma peace and The blessings of God be upon him) The present research has dealt with the society of Median from two points of view It has started by an introduction in which the researcher has explained the conditions before the prophets era .In the introduction, too, the Location of Medina has been determined, and its name before the prophets migration has been specified . it has also talked about its population their relationships with one another, the most important activities practiced (such as agriculture, handicrafts and trade) and concluded by explaining the political status of medina before the hijra . In part one . The researcher has defined excellence and its psychological and spiritual impact on the society of medina . In part two , he has dealt with its impact on leadership and management , particularly the military leadership in terms of physical skills and the capacity to use weapons new military tactics , surprising attacks and choosing of battlefields ,in addition to its impact on education , advancement of science (Through questioning , dialogue, discussion and praise) This section has also pointed out the economic impact of excellence

(represented in social sympathy and generosity).

The researcher , however , has used the inductive approach , deriving evidence from the prophetic traditions (or Hadith), which has been classified in true and false tradition and from the holy Quran , the major Islamic reference book .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

أما بعد،،،

فإن محور دراستنا في هذا البحث تدور حول ذلك المجتمع المثالي الذي برزت مميزاته على مجتمعه ثم على المجتمعات المجاورة بما امتلكه من مقومات خلقية ومثل عليا استقاها ذلك المجتمع من المعلم الأعظم محمدٍ ﷺ،رسول الرحمة ومنبع الهداية، فأصبح ذلك المجتمع متماسك الأركان قوي البنية لأنه التزم سنة نبيه ﷺواقتفى أثره ،ولو عدنا إلى تتبع أخبار ذلك المجتمع قبل أن يستقر الرسول بأرض المدينة– يثرب قبل الهجرة– لوجدناه مجتمعاً ضعيف البنية؛ غلب عليه الصراع والفرقة؛ فالحرب فيه قائمة بين العرب من الأوس والخزرج والحذر والترقب يغلب على جموع اليهود فيها،ولكن ما إن أشع نور الإسلام على المدينة حتى تغيرت حالتها وبان خيرها، فتشربت منه سائر جزيرة العرب؛ لأن آثار النبي ﷺوأقواله وأفعاله كانت بها– أي بالمدينة– ومنها سطع نور الإسلام، ومنها تفجر العلم؛ لأن ينبوعه كان بها وهم صحابة النبي ﷺ، ولذا فقد ظهر تميز ذلك المجتمع بها، ونحن هنا في هذا البحث نحاول من خلال محاوره إبراز أثر ذلك التميز على مجتمع المدينة فى عصر الرسول ﷺمن خلال ما يلي:

التمهيد: ويتناول في عجالة أحوال المجتمع المدني قبل الهجرة النبوية الشريفة موضحاً فيها عناصر المجتمع وعلاقاته الاجتماعية والسياسية.

البحث ومحاوره: يتكون البحث من محورين :

المحور الأول– يتناول آثار التميز على المجتمع المدني في الجوانب (المعنوية – والنفسية– المادية)ويذكر النماذج على ذلك

المحور الثاني:يتناول مجالات التميز التي ظهرت في المجتمع المدني وأثرها على ذلك المجتمع في الجوانب(القيادية والإدارية– العسكرية– العلمية – الاقتصادية)ويذكر النماذج على ذلك من الجنسين الرجال والنساء وصغار السن وغيرهم.مع الإشارة إلى أهمية الأخذ بتلك التجربة في ذلك المجتمع الرائد وتطبيقها في واقعنا المعاصر من خلال المقارنة مع ذكر الاستدلال.

تمهيد:

أحوال المجتمع المدني قبل الهجرة النبوية الشريفة وعلاقاته الاجتماعية والسياسية:

كان المجتمع المدني(يثرب) قبل البعثة الشريفة يتألف من أجناس مختلفة: يهود وعرب، ونتج عن ذلك الاختلاف المكون لمجتمع يثرب عدم تآلف أو وحدة،بل كانت الصراعات والخلافات على أشدها والحرب قائمة بين المكون العربي الأوس والخزرج، ويمكن التعرف على ذلك من خلال:

أولاً- التعريف بالمدينة وموقعها:عرفت المدينة قبل هجرة النبيﷺ بيثرب، وجاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا)**[1] وهي تقع إلى الشمال من مكة، وتبعد عنها بحوالي 450كم،وهي من مدن الحجاز المهمة لوقوعها على طرق القوافل التجارية المتجهة إلى بلاد الشام[2].

ثانياً- سكانها:تختلف الروايات التاريخية في تحديد أول من سكن يثرب،فهناك رواية تقول أن أول من سكن يثرب هم العماليق،ثم جاء بعدهم اليهود، وذلك بعد أن تعرضت العماليق للفناء فاستقلت اليهود بيثرب وسيطرت على مناطقها الخصبة،ثم نزلت عرب بجانب اليهود وهم الأوس والخزرج التي قدمت من جنوب جزيرة العرب، أي من اليمن،وكان سبب قدومها اضطراب وضعها الاقتصادي،ولما نزلوا يثرب شاركوا اليهود في مزارعها،ونزلت الأوس في أعالي يثرب بالقرب من قبائل اليهود،وأما الخزرج فنزلت في الجهة الشمالية منها[3].

لم يستقر الوضع السياسي في المدينة –يثرب– فقد نشبت الفتن وتبلبلت الأفكار؛ فساد جوها الاضطراب ونشب الصراع المسلح بين الفصيلين العربيين وكادت تلك الأفكار أن تدفع بأهلها من العرب إلى الفناء[4].ولم ينقذ تلك القبائل إلا الإسلام .

---

[1]سورة، الأحزاب، الآية: 13.

[2]صالح لمعي:المدينة المنورة،ص8.

[3])المراغي:تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة،ص222– السمهودي :وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى،جـ1/29.

[4]المرجاني:بهجة النفوس والأسرار في تاريخ هجرة دار المختار،ص34.– العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،جـ1/321.

ثالثاً- العلاقات الاجتماعية والسياسية للمجتمع المدني قبل الهجرة النبوية الشريفة:

كثيراً ما يتساءل الدارس عن أحوال العرب،ومجتمعها قبل البعثة المحمديةﷺ،ومعايشها وحروبها وعاداتها،وكيف انتقلت تلك الأمة من مرحلة البداوة والصراع إلى مرحلة الحضارة والبناء.

على الرغم من أن ذلك المجتمع كان ما يزال يتمخض بين القديم والجديد،القديم المتمثل بالجاهلية،والجديد المتمثل في تلك الدعوة التي استوطنت المدينة وبلغ صيتها القبائل المجاورة،على أن ذلك المجتمع الذي كان يرى في ما هو عليه من جاهلية عزة ،و تلك العناصر التي كانت تشكل نواته تكونت من أهل حاضرة وأهل بادية،وما يحمل كل عنصر من صفات ثابتة،كل ذلك جعل للفريقين مزاجاً خاصاً به وبعاداته وتقاليده وتصرفاته.

ومن الملاحظ أنه لا يمكن لذلك المزاج أن يستسلم ببساطة ،وخاصة أن تلك العناصر البدوية والحضرية،وبما تمتلكه من موروث كان من الصعب أن تنصهر في بوتقة واحدة،وتترك ما تراه من عزتها وحريتها.وكانت ترى في تلك الدعوة سلباً لحريتها وهي التي كانت من أجل أمور أبسط منها تشن الحروب وتسفك الدماء.

ولما كان محور الدراسة أثر التميز على المجتمع المدني في عهد النبيﷺ ومن يسكنها، فلذا قصرنا هذا التمهيد عليها،وكانت المدينة – يثرب- تجمع بين القوة البشرية والاقتصادية[1] وكان مجتمعها على اطلاع بأخبار الأمم السابقة وخاصة أمة اليهود فقد شكل التعاون والتزاوج والمعاملات اليومية بين اليهود والعرب من الأوس والخزرج[2] أحد ركائز تلك المعلومات التي كانت اليهود تدلي بها في نواديها عن أحداث مستقبلية سوف تشهدها جزيرة العرب والمدينة على وجه الخصوص،ثم إن اليهود كانت تتوعد العرب بيوم حاسم إذا ما جاء نبي آخر الزمان،وقد شكلت تلك الأخبار التي كانت تطلقها يهود أحد الدوافع المهمة التي دفعت الأوس والخزرج إلى السبق في تقبل الدعوة الإسلامية[3].

---

[1]عبد العزيز العمري،الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسولﷺ،ص119.

[2]السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،جـ4/232.

[3]ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،جـ1/83.

وعلى الرغم من احتكاك العرب باليهود واطلاعهم على أخبارهم وأخبار بعض الأمم السابقة من خلال كتب اليهود وأحاديث أحبارها فإنها لم تكن لتمنع مجتمع المدينة- يثرب- مما هي عليه جزيرة العرب من جاهلية.

والجاهلية: هي الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام،من الجهل بالله سبحانه ورسله وشرائع الدين،والمفاخرة بالأنساب،والكبر والتجبر وغير ذلك[1]. واختلف العلماء في تحديد العصر الجاهلي فقال بعضهم أنها المدة الممتدة بين عيسى – عليه السلام – وسيدنا محمد ﷺ،وقيل غير هذه المدة[2].

1- **العلاقات الاجتماعية:** كان المجتمع الجاهلي يعج بالظلم فالقوي يستعبد الضعيف،والعبودية والرق قائمة،و الفساد يستوطن جل أهله إلا القلة من ذلك المجتمع الذي منعه الحياء والمكانة من السقوط في الرذيلة؛لأن أشراف العرب كانت على درجة كبيرة من الرقي والتقدم في المعاملات العامة فكان جل طبقة الأشراف يخشى العار من الوقوع في الرذائل،ولذا انعكس هذا الرقي على أسرهم فكانت معاملاتهم راقية فلم يقيدوا الحريات والرأي،وكانت المشورة سائدة،مع الاحترام الفائق،والشواهد على ذلك لا تحصى فكانت أشعار العرب في أغلبها آنذاك تتناولها وتفخر بها،ومع كل ما سبق كان رجل القبيلة القوي هو صاحب الفصل في قضايا القبيلة وكلمته مسموعة ورأيه نافذ، ولذا حافظت القبائل على تماسكها وقوتها وكانت رابطة الدم والنسب أحد أبرز مقومات التماسك الاجتماعي داخل القبيلة.

ومجتمع المدينة كان مجتمعاً مدنياً – أي:كان مجتمعاً مستقراً- فمارس أنشطة تناسب المجتمع المستقر، ومنها:

أ- **الزراعة:** اهتم سكان يثرب بالزراعة ووسائل الري، فحفرت الآبار وأصلحت قنوات الري فقامت الزراعة في أكمل صورها في الحجاز وكانت النخيل والشعير من أهم محاصيل يثرب

[1] ابن منظور: لسان العرب،229/3.

[2] الموسعة الإسلامية مادة جاهلية.

في تلك الفترة،وتعد المدينة من أكثر بقاع الجزيرة العربية إنتاجاً للتمور، و شجعت خصوبة تربة المدينة أهلها على التوسع في الزراعة، وخاصة في حرٌتيها: واقم في الشرق والوبرة في الغرب[1].وكانت العرب واليهود حسب قول ابن هشام[2] تتشارك في الزراعة، فقد ذكر :أن مخيريقاً اليهود ي كان كثير الأموال،لأنه كان يملك بساتين للنخيل.

وعلى العموم فإن يثرب تعد من أكثر بلاد الحجاز إنتاجاً للتمور، والدليل على هذا القول أن النبيﷺ عرض على غطفان ثلث إنتاج المدينة مقابل التخلي عن نصرة قريش وأحلافها يوم الخندق[3]. وكانت المدينة تنتج منتجات مختلفة غير التمور، ومنها الشعير فقد احتل المرتبة الثانية في موارد مدينة يثرب الزراعية.وكانت هذه المادة مهمة لسكانها فقد اضطرتها الظروف المناخية إلى جلبها من بعض مناطق جزيرة العرب أو من خارجها،لذا فقد شكلت الزراعة في المدينة أحد روافد الاقتصاد،و هذا بدوره شَكلَ أرضية خصبة لقيام دولة الإسلام على أرضها لتوفر الموارد الزراعية والصناعية وهي من عوامل الاستقرار[4].

ب- **التجارة:** تعد التجارة من أهم الأنشطة التي مارسها سكان يثرب، وقد لعب موقع يثرب الذي كان يتوسط طرق القوافل التجارية التي تؤمها من الشام أو من الحجاز نقطة التقاء بين التجار والسكان، وقد عمل ذلك على التواصل المعرفي، فكان سكان يثرب على اطلاع بأحوال المناطق المجاورة لها[5]،وعلى دراية بأحوال التجارة وأسعارها،ومن أجل ذلك أنشئت الأسواق الخاصة بيثرب، ومنها سوق زبالة،والجسر[6] وغيرها[7].

---

[1] الإصطخري: المسالك والممالك،ص23- السمهودي : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى،جـ1/109.

[2]ابن هشام: السيرة النبوية،جـ2/115.

[3]الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار،جـ1/94.

[4] الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسولﷺ ،ص357، 358 – شكران خربوطلي،الحياة الاقتصادية في المدينة،ص39.

[5] حسن خالد،مجتمع المدينة قبل الهجرة وما بعدها،ص50.

[6] ابن شبة :تاريخ المدينة،جـ1/305 ،306 – الفيروز أبادي: المغانم المطابة في معالم طابة،جـ2/887،.- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي،جـ3/130- محمد السيد الوكيل،يثرب قبل الإسلام،ص163.

[7] المصادر نفسها على الترتيب.

ت- **الصناعة:** تعد يثرب من أشهر مدن الحجاز في الجانب الصناعي؛ لأن سكانها من اليهود الذين كانوا من أمهر الصناع وخاصة صناعة الحلي والسلاح وغيرها من الصناعات المتميزة[1] ولذا كانت تلك الصناعات بحاجة إلى أسواق من أجل بيعها، وقد نشط اليهود في ذلك وكانت لهم علاقات خارج المدينة للترويج لمنتجاتهم الصناعية وبيعها وخاصة في تلك الأسواق الموسمية، ومنها عكاظ،وكان هذا السوق من أهم أسواق مكة[2].

2- **العلاقات السياسية:** رغم أن الحياة السياسية في الحجاز يكتنفها الغموض وخاصة في تلك الفترة التي سبقت الدعوة الإسلامية،وما وصل إلينا من معلومات هي في أغلبها من رواة الأخبار الذين اعتمدوا على الرواية الشفهية،وتلك الروايات في أغلبها يكتنفها الغموض، لأنها كتبت في زمن غير زمنها فقد كتبت في منتصف القرن الثاني الهجري،ولذا فقد شابها النسيان والزيادة والنقصان،كما أن كتابها التزموا الآداب الإسلامية في كتابتها لأن المصلحة كانت تقتضي ذلك[3].

وعلى العموم فإن الوضع السياسي في الحجاز كان يشوبه الاضطراب كما هو عليه الحال في سائر بلاد العرب،وكانت الوحدة السياسية تكمن في وحدة القبيلة، وزعيمها هو من يصلح أمورها،مع أن صلاحيات ذلك الشيخ أو الزعيم كانت مرتبطة بعناصر بارزة في القبيلة فلا يقدم على عمل إلا بعد المشورة،وفي هذا الجانب بالذات كانت المدينة – يثرب- قبل الهجرة في حالة اضطراب وحرب، فكانت بحاجة إلى زعامة تتمتع بحنكة وخبرة قوية من اجل إدارة شون القبيلة سواء كانت الخزرج أو الأوس مع أن الأولى – أي: الخزرج- أقوى من الأوس ،كما أن متطلبات الحرب قد دفعت كلاً من الطرفين المتحاربين إلى البحث عن حلفاء لتقوية مركزه داخل المدينة[4]- يثرب.

---

[1]) ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،جـــ1/301- نجمان ياسين،تطور الأوضاع الاقتصادي فـــي عصـــر الرسالة والراشدين،ص81،82.

[2]) الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ،جـــ4/235- الطبري :تاريخ الأمم والملوك ،جـــ2/246 – ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى،جـــ1/54.

[3]) د/نبيه عاقل:تاريخ العرب القديم وعصر الرسولﷺ،ص238.

[4]) السهيلي:الروض الأنف،جـــ4/234.

وبعد هذا التبسيط ننتقل إلى محوري البحث.

المحور الأول- آثار التميز على المجتمع المدني في الجوانب (المعنوية – النفسية- المادية)و النماذج على ذلك.

مما يلاحظه المتأمل في هذه الفترة الزمنية التي نحن بصدد دراستها هو ذلك التحول المفاجئ في حياة المجتمع العربي الذي تميز عن غيره من المجتمعات المجاورة بميزات باهرة دفعته إلى التفوق والظهور وتغيير مجريات الأحداث التاريخية ودفع المجتمعات المجاورة إلى الاقتداء به والسبب يعود إلى ذلك المعلم الفذ والمرشد الحكيم الذي سطع نوره على سائر جزيرة العرب النبيﷺ،وكان لوجوده في المدينة الشريفة ورعايته لمجتمعها أبلغ الأثر على سلوكيات أهلها وتميزهم عن سائر المجتمعات العربية الأخرى،فقد عمل النبيﷺ،على تحفيز ذلك المجتمع على التميز والعطاء، ولذا استخدم النبي ﷺ التحفيز المعنوي والمادي من أجل زيادة العطاء لكل من حمل خصلة من خصال التميز، ويمكن توضيح ذلك بالأدلة الشرعية ونبدأ هذا المحور **بتعريف التميز:**

هناك فرق بين التميّزُ بضم الياء المشددة،والتمييز،فهذه الأخيرة تعني:التمييز بين الأشياء.فتقول مزت بعضه من بعض[1]،وفي التنزيل**(حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)**[2] ،وتميزَ القوم وامتازوا:صاروا في ناحية[3]وفي التنزيل العزيز**(وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ)**[4].

وفي وقتنا الحاضر عرف التميز: بأنه التفوق على الأقران ، والظهور على الأتراب، بكمال الصفات.ومن هنا يتضح أن التميز حالة خاصة بشخصية ما تجعلها تتمتع بقدرات فائقة في مجال من المجالات التي يحتاجها المجتمع.ومن خلال محوري البحث يكن التعرف على ذلك.

أولاً- الآثار المعنوية والنفسية للتميز على المجتمع المدني:

[1]) ابن منظور: لسان العرب،جـ14/157.

[2]) سورة آل عمران: 179.

[3]) ابن منظور: لسان العرب، جـ14/157.

[4]) سورة يس: 59.

إن وجود النبي ﷺفي أوساط المجتمع المدني قد شكل أحد المحفزات المؤثرة في تميزه بل تسابق الصحابة – رضوان الله عليهم –لإظهار ما لديهم من ميزات وقدرات في كل المجالات التي يتطلبها مجتمع المدينة، وكل ذلك مستمد من كتاب الله وسنة نبيه ﷺونحن هنا نورد بعضاً من آيات القرآن الكريم التي ترفع من معنويات ذلك المجتمع وتحثه على التسابق لإصلاح بنيته وإصلاح المجتمعات الأخرى المجاورة لمجتمع المدينة، فتسابق الناس إلى سماع القرآن الكريم وتطبيق كل ما حث عليه وتجنب كل ما نهى عنه وكذا العمل بأوامر النبيﷺ وتقليده في كل خطواته فشكل هذا دافعاً معنويًّا قويًّا لذلك المجتمع في حياته، فنقلته من مجتمع مفكك ممزق ضعيف البنية إلى مجتمع قوي البنية فاعل في محيطه، فهابته القوى البارزة في تلك الفترة، ومن أبرز الآثار المعنوية على مجتمع المدينة:

أ- **الأمر بالمعروف النهي عن المنكر:**

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت من مقومات المجتمع المدني ومميزاته وتسابق ذلك المجتمع لتطبيقه كلٌّ حسب قدرته امتثالاً لقوله تعالى: **(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**[1] وقد أثنى جل ثناؤه:"ولتكن منكم" أيها المؤمنون "أمة"، جماعة "يدعون" الناس إلى الخير"، يعني إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده "ويأمرون بالمعروف"، يقول: يأمرون الناس بإتباع ﷺودينه الذي جاء به من عند الله "وينهون عن المنكر"، يعني وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله، بجهادهم بالأيدي والجوارح، حتى ينقادوا لكم بالطاعة. **وقوله تعالى:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)**...قال ابن كثير[2] : يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن مَيْسَرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)** قال: خَيْرَ الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام .

---

[1]) سورة آل عمران:104.

[2]) ابن كثير: تفسير ابن كثير،جـــ2/ 93.

وهكذا قال ابن عباس، ومُجاهد، وعِكْرِمة، وعَطاء، والربيع بن أنس، وعطية العَوْفيّ: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)**يعني: خَيْرَ الناس للناس.والمعنى: أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس؛ ولهذا قال:**(تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)** فهذه الآية الكريمة توضح أن المجتمع المسلم خير المجتمعات؛لأنهم يأمرون بالمعروف،و ينهون عن المنكر، يؤمنون بالله، وهذا هو الشرط في هذه الخيرية، فبهذه الأمور الثلاثة العظيمة القدر،كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس،على أن هذه الأمور ليست هي كل ما أهلت به هذه الأمة لتكون خير أمة،إذ هناك أمور وخلال كثيرة أهلت هذه الأمة لهذه الخيرية،ولكن هذه الثلاثة أهمها وأعظمها،إذ لا تدوم ولا تستمر هذه الخيرية ولا تحفظ إلا بإقامتها وأدائها،فإن فقدت هذه الأمور في جيل من أجيال هذه الأمة لم يكن حرياً بهذه الخيرية التي حظيت بها.

وقد أثنى النبيﷺعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في أكثر من حديث ومن النماذج على ذلك قولهﷺ:في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ،عن زوج درّة بنت أبي لَهَب، عن درة بنت أبي لهب قالت: قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، أيّ الناس خير؟ فقال: "**خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وأتقاهم للهِ، وآمَرُهُمْ بِالمعروفِ، وأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ**"[1] .

ب- الولاء للأمة المسلمة:

تأثر سكان المدينة ومن جاورها بأخلاق القرآن الكريم وتعاليمه وحافظوا على بنية المجتمع الجديد الذي رعاه النبيﷺ، ولذا كان ولاؤهم للأمة المسلمة امتثالاً لقوله تعالى:**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** [2] الخطاب هنا للمؤمنين كافة ، وهو حكم باق إلى يوم القيامة يدل على قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين ، وقالت طائفة من أهل العلم:إنها نزلت في الحضّ على الهجرة ورفض بلاد الكفر،فيكون الخطاب لمن كان من المؤمنين بمكة وغيرها من بلاد العرب ، نهوا بأن يوالوا الآباء والإخوة ، فيكونون لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر إن استحبوا،أي:أحبوا،كما يقال استجاب بمعنى أجاب،وهو في الأصل:طلب المحبة،ثم حكم على من يتولى من استحب الكفر على الإيمان من الآباء والإخوان بالظلم . فدلّ ذلك على أن تولي من كان كذلك من أعظم الذنوب وأشدّها .وقال ابن كثير[3] في تفسير عن هذه الآية:أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد – رضي الله عنه– قال : أمروا بالهجرة، فقال العباس بن

---

[1]) ابن حنبل: المسند،241/45، رقم الحديث(27434).

[2]) سورة التوبة: 23

[3])السيوطي:الدر المنثور في التأويل بالمأثور،تفسير سورة التوبة،آية،23.

عبد المطلب : أنا أسقي الحاج . وقال طلحة أخو بني عبد الدار أنا أحجب الكعبة فلا نهاجر ، فأنزلت(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)**

ومن هذه التوجيهات الربانية للمجتمع المسلم يتضح أن الإسلام قدم مصلحة الأمة على المصلحة الشخصية الضيقة،بل وجعل التضحية في سبيل سلامتها وقوتها من أسسه الأولى ولذا كان التأثير واضحاً في مجتمع المدينة على سلوك مجتمعه في ولائه لدينه ونبيه.وحثت **سنة النبي**ﷺ على ذلك الولاء ومن الأدلة ما ثبت في الصحاح كما أخرجه ابن حبان[1] "**أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى، حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد عن أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سرتم من مسيرٍ ولا قطعتم من واد إلا كَانُوا مَعَكُمْ فِيهِ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وهم بالمدينة؟ قال: "نعم حبسهم العذر**"إن هذا الحديث يبين أن الإخلاص في الولاء للأمة المسلمة في عهد النبي ﷺ من قبلهم قد جعلهم ينالون الثواب والأجر على نيتهم وإخلاصهم وإن لم يشاركوا بالأبدان.

ث- المدح والثناء:

مدح النبيﷺ أشج عبد القيس، لأنه تمتع بخصال نبيلة أحبها النبيﷺ فذكرها له بقوله:"**إنَّ فِيكَ خصلَتين يحبُهمَا اللهُ،الحِلمُ والأناةُ**"[2]

والحِلْمُ(بكسر الحاء) الأناة والعقل وجمعه أحلام وحُلُوم[3]قال تعالى:(**أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا**) [4] أي:عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور؟قال محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: إن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبيﷺ قال قائل منهم: احتبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك، كما هلك من هلك قبله من الشعراء: زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم[5]. فأنزل الله في ذلك

---

[1]) ابن حبان: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان،جـ11/33، رقم الحديث(4731) والحديث،إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[2]) صحيح مسلم،جـ1/48،رقم الحديث(25.

[3])ابن منظور:لسان العرب،جـ4/ 209.

[4]) سورة الطور: 32

[5]) تفسير ابن كثير،جـ7/436.

من قولهم: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)[1].ثم أنزل بعدها(أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا) وأما الأناةُ والأنى فهي:الحلم والوقار[2].

وقد نال الأفراد والجماعات مدح وثناء النبيﷺو قصد النبيﷺتشجيعهم على الحفاظ على كل أمر حسن يثري المجتمع، ويحسن من علاقته ويبعث على القوة فيه والألفة، ومن الخصال النبيلة التي مدحها النبيﷺالتكافل والتعاون ومن ذلك قوله:"**إنَّ الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قَلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم**"[3].

ج- مطالبة المجتمع بسمو النفس ورفعتها والتميز في الأخلاق:

لما كان المعلم والقدوة في مجتمع المدينة هو النبيﷺ،فقد أدخل على ذلك المجتمع الإسلامي حافزاً جديداً من حوافز اليقظة النفسية الاجتماعية، وكيف لا، وذلك المجتمع يجتمع إليه ويستصحب منه الهداية في مسالك الطريق،وسرعان ما أصبحت أصول هدايته مادة حياة المجتمع لتسيير حياته اليومية،ولما كانت النفس البشرية بحاجة إلى ردع وتحفيز، فقد استخدم النبيﷺ هذه كلها، فكان تارة يحفز نفوس أصحابه على السمو والرفعة، وأخرى يحذرها من الولوج في الشر،ومن الأحاديث التي وردت عن النبيﷺفي هذا الباب:

ما أخرجه ابن حنبل، عن عائذ بن عمرو الْمُزَنِيَّ، قَالَ:" **بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ، إِذَا أَعْرَابِيٌّ قَدْ أَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَطْعِمْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِنِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ الْمَنْزِلَ، وَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْحُجْرَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ فِي الْمَسْأَلَةِ، مَا سَأَلَ رَجُلٌ رَجُلًا وَهُوَ يَجِدُ لَيْلَةً تُبِيتُهُ "، فَأَمَرَ لَهُ بِطَعَامٍ**[4]..**وأخرج أحمد عن ثوبان قال : "قَالَ رَسُولُ اللهﷺ: " مَنْ يَتَكَفَّلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟ " فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَداً شَيئاً** [5].

وكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل، فيأخذه.

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن حكيم بن حزام – رضي الله عنه- قال : قَالَ: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: "**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ،**

---

[1]) سورة الطور: 30

[2]) ابن منظور:لسان العرب،جـ1/183.

[3]) صحيح البخاري،3/138.

[4]) ابن حنبل:المسند،34/246،رقم الحديث(20646).والحديث صحيح لغيره.

[5]) ابن حنبل:المسند،37/57،رقم الحديث(22374) إسناده صحيح على شرط مسلم.

كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى" ، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوُفِّيَ"[1]

ومن أجل نقاء المجتمع المسلم فقد نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يُعَانُون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا. يورون بالرعونة، كما قال تعالى: **(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا)**[2] وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم، بأنهم كانوا إذا سلَّموا إنما يقولون: السامُ عليكم. والسام هو: الموت. ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـــ "وعليكم". وإنما يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا.والغرض: أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا. ومن هنا تأتي الدلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد، على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نُقَر عليها.

ح- الدعاء والثناء والعطاء المادي من النبيﷺ لبعض من لاحظ تميزه :

تعززت قوة مجتمع المدينة وزادت بوجود النبيﷺ ودعائه لهم وتشجيعهم على كل ما يميز ذلك المجتمع، وقصد النبيﷺتشجيع أصحاب المواهب للمحافظة عليها وتنميتها كما أنه مثل تشجيعاً لكل أفراد المجتمع على التنافس في هذا المجال وقد دعا النبيﷺ لابن عباس على الرغم من صغر سنه لما ظهرت عليه علامات النبوغ والفطنة،فدعا له النبي بقوله:" **اللهُمَّ أَعْطِ ابْنَ عَبَّاسٍ الْحِكْمَةَ،وعَلمهُ التَّأوِيلَ** "[3]

وممن تميز من الصحابة على سبيل المثال لا الحصر واستحق من النبيﷺ الدعاء عكاشة بن محصن،من رواية عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺقَالَ: " **يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ". **قَالَ: فَقَامَ عُكاشةُ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: " أَنْتَ مِنْهُمْ ". قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ**

---

[1]) البخاري:صحيح البخاري،123/2،رقم الحديث(1472).

[2]) سورة،النساء :46 .

[3]) ابن حنبل: المسند،244/4،رقم(2422)

اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: " قَدْ سَبَقَكَ بِهَا عُكاشةُ "[1] والظاهر أن النبي ﷺ قصد من قوله: سبقك بها عُكاشةُ" كأنه خاف أن يقوم كل أحد ويطلب ما طلب عُكاشةُ.

المحور الثاني:(القيادية والإدارية– العسكرية– العلمية – الاقتصادية):

لقد كانت لتعاليم النبيﷺ أكبر الأثر في توجيه صحابته وظهور أثر تميزهم على المجتمع المدني، فقد عمل أصحاب النبيﷺ بكفاءة عالية بالغة في الدقة ملتزمة بأوامر الله وأوامر نبيهﷺمن أبرز الآثار لتلك التعاليم على مجتمع المدينة تميزة في أغلب جوانب الحياة ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً– أثر التميز في القيادة الإدارية على المجتمع المدني:

يعرف بعضهم بأنها فن قيادة الآخر. والإنسان بكونه مجموعة من العواطف والمشاعر، لذا فهو بحاجة إلى مرونة كاملة في التعامل معه،ولنا في حياة النبيﷺ الأسوة الحسنة في كل نواحي الحياة على وجه الخصوص في قيادة الآخرين على الأسس السليمة التي جاء بها الإسلام،و رسخ فن مبادئ الإدارة النبيﷺمواقفه مع أصحابه،فكل موقف كان يرسخ مبدأ جديداً في كيفية إنجاز الأعمال بنجاح وتميز دون إهدار حقوق الغير، ودون التقليل من المهام الموكولة للآخرين، بل يصبح تقسيم العمل والتعاون والاستماع للآخرين من الصفات التي ينبغي أن نتحلى بها في حياتنا اليومية ليكون لنا مثل ذلك النجاح الرائع الذي حققه مجتمع النبيﷺفي المدينة.

ولذ نجد أن النبيﷺقد أشاد بكل من تميز في الجانب الإداري، ومن ذلك إشادته ببعض الصحابة رضوان الله عليهم في الحديث الذي رواه أحمد عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **أَرْحَمُ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَقْرَؤُهَا لِكِتَابِ اللهِ أُبَيٌّ، وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ** "[2]

لقد وضح النبيﷺ الخصال التي يتمتع بها كل فرد ممن خصهم في الحديث،وهو بذلك يمهد الطريق لصحابته – رضوان الله عليهم– للاقتداء والتميز في نفس الوقت،وهو يعلم أصحابه أن الناس ليست على درجة واحدة في التميز فهناك اختلاف في القدرات بين البشر وأنهم سيواجهون أصنافاً من البشر تختلف بعضها عن بعض في الأمزجة والميول والمشارب والاتجاهات، وليس لأحد من أمة محمد أن يبلغ مبلغه

[1]) ابن حنبل: المسند،143/33،رقم(19913) حديث صحيح.

[2]) ابن حنبل:المسند،جـ252/20،رقم الحديث(12904)،إسناده صحيح على شرط الشيخين.

أو أن يصل إلى مرتبته، ولقد ذكرت أم المؤمنين خديجة- رضي الله عنها- النبيﷺ بخصال هي تلحظها فيه من قبل بعثته كما رواها البخاري،"**فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لتصلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ،)**[1] لننظر في هذه الصفات ولنتأمل فيما قالته أم المؤمنين -رضي الله عنها- عن رسول اللهﷺ ، وهي تقصد تشجيعه على التحمل وعدم الاستسلام، وفي نفس الوقت هي تحفزه على الاستعانة بتلك الخصال النبيلة التي حباه الله إياه لبناء العلاقات مع الغير.

ويمكن للدارس التعمق في هذا الجانب ليعلم ما قصدت أم المؤمنين- رضي الله عنه- بحديثها،فما تمتع به النبيﷺمن صفات جعلت من شخصيته مجمعة لصفات محمودة عند الخالق – عز وجل – وعند المخلوق؛ومن أعظمها للقيادة أنه يحمل الكلّ، ويكسب المعدوم، وفي هاتين الصفتين إشارة إلى ما ينبغي أن يتمتع بهﷺ من القدرة على كسب الأتباع لما كان يبديه تجاههم من عاطفة جياشة تجعله يسعى إلى خدمتهم والسهر على راحتهم والمسارعة في بذل الخير لهم،وهوﷺ يقري الضيف؛ لذا لابد لمن كان يتمتع بالقيادة أن يكون على نهجه ﷺ.

ولذا فقد عمل النبيﷺ على تدريب أصحابه-رضي الله عنهم- على المهارات الإدارية؛لأن المهارة لا تنمو إلا بالتدريب، والمساعدون الأكفاء لا يولدون من فراغ.ولقد أدرك الرسول ﷺأهمية هذا الأمر، ومن ثم : أوجد النبي لكل طاقة ما يناسبها من عمل،ووزع المسؤوليات،وفرض المهام ومنح أجزاء متساوية من المسؤولية والسلطة لأصحابه – رضي الله عنهم- فتولى على بن أبي طالب وعثمان بن عفان كتابة الوحي ، كما كان يقوم بذلك أيضاً أثناء غيابهما أُبي بن كعب ، وزيد بن ثابت، وكان الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يقومان بكتابة أموال الصدقات ، وكان حذيفة بن اليمان يعد تقديرات الدخل من النخيل، وكان المغيرة بن شعبة والحسن بن نمر يكتبان الميزانيات والمعاملات بين الناس[2] . وعليه فإن هذا التفويض لبعض صحابته فيها إشارة إلى أصحاب المسؤوليات في تفويض المهام لمن يرون فيهم صلاحية القيام بالمهام التي ترتبط بمصالح الأمة من أجل تيسير أعمالها ومعاملاتها.

---

[1]) البخاري:صحيح البخاري،جـ1/7،رقم الحديث (3).

[2]) ابن حزم: جوامع السيرة جـ1/26،27.

وقد ظهر ت مواقف لبعض الصحابة تبرهن على أثر تدريبات النبيﷺ عليها، وتجلى ذلك في:

1. **حُكم سعد بن معاذ في بني قريضة:** فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : " **انْزِلُوا عَلَى حكم سعد بْنِ مُعَاذٍ " فَنَزَلُوا، وَبَعَثَ رَسُول الله ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأُتِيَ بِهِ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ، قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ، وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ. قَالَتْ: لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمْ، الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: قَدْ أَنَى لِي أَنْ لَا أُبَالِيَ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ. قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ " فَقَالَ عُمَرُ: سَيِّدُنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: أَنْزِلُوهُ، فَأَنْزَلُوهُ. قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْكُمْ فِيهِمْ " قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ، أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ – وَقَالَ يَزِيدُ بِبَغْدَادَ: وَيُقْسَمُ – فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ: " لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُكْمِ رَسُولِهِ "**[1]
2. **تأمير أبا بكر على الصلاة:**بقوله ﷺ: "**مُرُوا بِلَالًا فَلْيُؤَذِّنْ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**"[2]
3. **تأمير أسامة بن زيد:** أمره النبيﷺ رغم أنه صغير السن مما دفع بعض الصحابة إلى الطعن في أهليته بسبب صغر سنه إلا أن النبي ﷺرد على تلك الطعون بقوله: "**إِنْ تَطْعَنُوا فِي إمرته،فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ،وَايْمُ الله إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمْرَةِ،وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ،وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**"[3].

ومن هنا نجد أن النبيﷺ قد أعد مجتمع المدينة لتحمل مسئولياته بعد غيابه عنه،ولم يكن تمكين بعض الصحابة من القيام بالمهام الإدارية في حياته والثناء على من برزت ميزته إلا ليؤهل ذلك المجتمع لتقبل المتغيرات الطارئة التي قد تحدث في أي لحظة وهوﷺيسن هذا العمل لمن تبعه إلى يوم الدين.

ومن هنا نرى أن العناية الإلهية قد تكفّلت بتهذيب نفس النبي ﷺ وتربيتها لتكون مؤهلة للقيام بأعباء تلك المهمة العظيمة، وكان النبي ﷺ رجل دولة بكل ما للكلمة من معنى، ولا شك بأنه يجب أن يكون النبي

---

[1]) ابن حنبل:المسند،جـ42/26-30،رقم الحديث (25097)، بعضه صحيح، وجزء منه حسن، وهذا إسناد فيه ضعف، لأن فيه عمرو بن علقمة لم يرو عنه غيرُ ابنه محمد، ولم يوثقه غير ابن حبان فهو مجهول، وبقية رجاله رجال الشيخين.راجع شح الحديث وتخريجه المسند ص42/30.

[2]) ابن ماجة: سنن ابن ماجه1/390،رقم الحديث(1234) إسناده صحيح ورجاله ثقات.وصححه الألباني.

[3]صحيح مسلم: 4/1884 رقم الحديث(64 – (2426).

ﷺفي أداء هذه المهمة "رجل دولة" بكل ما تعنيه هذه الكلمة وتحتويه من مضامين وأبعاد، لإدارة المجتمع في الحالات المختلفة ونقله من حالة متدنية على كل المستويات إلى حالة عالية ومميزة في كل المجالات المناسبة مع الأهداف المطلوب الوصول إليها بواسطة قيادة "رجل الدولة" الحكيم والمتوازن، والدولة هي الكيان السياسي والإطار التنظيمي لوحدة المجتمع وحياته الاجتماعية والاقتصادية، وهي التي تمتلك حق إصدار القوانين والسهر على تنفيذها وتطبيقها بما يحقق الأهداف المطلوبة عبر ضبط حركة المجتمع ككل والسهر على رعايته وحمايته من كل من يحاول إبعاده عن أهداف الدولة الملتزمة بخطها ونهجها.

وكان لا بد لمجتمع المدينة من "دستور"[1] يتضمن القوانين والقواعد والأنظمة التي تحدد شكل الحكم ومساره على كل المستويات،سواء في علاقاته الداخلية أو الخارجية أو علاقاتها بمواطنيها.وقصد النبيﷺ تحصين مجتمع المدينة؛ لأنه كان النواة الأولى والبذرة الأساسية، لأن مجتمعاً،بعناصره المتنوعة وقبائله المتعددة كان بحاجة إلى أجواء من الأمن والسلام والهدوء من أجل تنظيم شؤونه وتقوية صمودها لتكون قادرة على مواجهة التحديات والعقبات والصعوبات الداخلية أو الخارجية.

ثانياً- أثر التميز في التطورات العسكرية واستخدام المهارات البدنية على المجتمع المدني:

كانت المدينة – يثرب- قبل هجرة النبيﷺ مضطربة غير مستقرة كما سبق،ولذا كانت بحاجة إلى إدارة قوية لتعيد لها استقرارها وتنظيم علاقة مجتمعها في أيام الحرب والسلم؛ ولذا جهز النبي ﷺمجتمع المدينة ليكون قادراً على الدفاع عن عقيدته وعن كيانه،خصوصاً وأن المتربصين به وبعقيدته كانوا قد شرعوا باعتداءاتهم وأبرزوا كراهيتهم وضيق صدورهم من تلك الديانة الجديدة ألا وهي ديانة الإسلام.ولكن كل ذلك تحطم أمام ذلك القائد النبيﷺ وأصحابه البررة – رضي الله عنهم- وكان ذلك النجاح الباهر يعود إلى الالتزام الدقيق بتطبيق أحكام الإسلام على الجميع من دون أية استثناء أو إعفاء أو مجاملة، فبرزت إدارة رشيدة حازمة للنبي ﷺوأصحابه ضد المخالفين لأحكام الإسلام من دون مراعاة للمكانة أو المنزلة الاجتماعية أو أي ميزان آخر كان معمولاً به في الجاهلية،لأن الإسلام لا يعترف إلا بموازين الأوامر الإلهية،فتطبيق الأحكام لا يحتاج إلى التراخي أو التهاون مع المخالفين والمنحرفين،لأن ذلك يخالف أهداف الإسلام،وقد يؤدي التهاون إلى شيوع الفتنة والفساد بين المجتمع. والحفاظ على المجتمع في العيش بعيداً عن الانحراف والرذيلة هو حق من حقوق ذلك المجتمع ،فينتج عن كل ذلك الهدوء والأمن

[1] وليد بن بليهش العمري:السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية،جـ1/40-محمد الطيب النجار: القول المبين في سيرة سيد المرسلين،جـ1/198 .

والسلام في المجتمع مما يدفع إلى الحركة والتميز والإبداع والإنتاج وجلب المنافع المختلفة المفيدة في الدنيا والآخرة.

ومن أجل الحفاظ على مجتمع المدينة وقوته وتماسكه، فقد عمل النبيﷺعلى تشجيع أصحابه وإعدادهم بدنياً وتنظيمهم عسكرياً، ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

1- الإعداد وأثرها النفسي على الصحابة لتكوين القيادة العسكرية[1]:

بعث النبيﷺ في أصحابه عقيدة الجهاد،وكانت هذه العقيدة أرفع وسام لرفع مستوى التضحية والفداء كما أنه أدخل بعض الترتيبات في تطوير فن القتال منها؛الإعداد للمعركة،المشاورة، الاستطلاع، ترتيب الصفوف،إصدار أمر القتال،تنظيم المهام في ميدان المعركة و التعاون.

ولذا أشرك النبيﷺ بعض الصحابة في إدارة المعركة من ذلك حمل علي –رضي الله عنه– الراية في يوم خيبر كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن سلمة "**قال سَلَمَةُ: ثُمَّ إِنَّ نَبِيَّ اللهﷺ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: " لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ الْيَوْمَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ "، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ أَرْمَدَ،فَبَصَقَ نَبِيُّ اللهِ ﷺفِي عَيْنِهِ ثُمَّ أَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَخَرَجَ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ فَقَالَ:**

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

[البحر الرجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ،

فَفَلَقَ رَأْسَ مَرْحَبٍ بِالسَّيْفِ وَكَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ[2] .

وبعد تولية القيادة لإعداد القواد كان النبيﷺ يرسل لبعض المهمات من يحس فيه التميز للقيام بها وكان في أغلبها مهمات تحتاج إلى حنكة وفطنة وقدرة على تحليل المعلومات التي يحصل عليها،وقد استحق الزبير بن العوام لقب (حواري) وهو النصير للمهمة التي أوكلها النبيﷺ له يوم الخندق،فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: **(سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ**

---

[1] نحن نعطي نماذج محدودة لأن مقام البحث محدود، ولا نستطيع التوسع في كل هذا المحور.ونحيل القارئ على المصادر.

[2] ابن حنبل:المسند،27/68، 69،رقم الحديث(16538)، إسناده صحيح على شرط مسلم.

عَنْهُمَا، يَقُولُ: نَدَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ يَوْمَ الخَنْدَقِ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ وحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ" قَالَ سُفْيَانُ: الحَوَارِيُّ: النَّاصِرُ)[1].

2- **أثر بناء القوة الجسمانية والتدريب على السلاح على المقاتلة:**

أوصى النبيﷺ رجاله بالاهتمام بالقوة الجسمانية وممارسة الرياضة البدنية،وشجع من تميز في هذا الباب واهتم بتدريبهم على استخدام السلاح وحثهم على إتقانه بمداومة التدريب عليه؛حتى يكونوا ذوي بأس شديد،وكما هو واضح أن القوة الجسمانية تؤدي إلى قوة التحمل والتدريب الجيد على السلاح الذي يوفر الدعم في الحرب.وقد أمر النبيﷺ بالتدريب الجيد للرماية حينما فسر قوله تعالى:**(وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)**[2] **"أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ"**[3].وفي هذا البيان إشارة إلى أن هذه العدة بحاجة إلى معالجة وإدمان الطويل،وليس شيء من عدة الحرب وأداتها أحوج إلى المعالجة والإدمان عليها مثل القوس والرمي.وهذا حث وتحريض منهﷺ على تعلم الرمي،وفي هذه المهارة أيضاً تسلية وممارسة للهو،لأن النفوس مجبولة على ميلها إلى اللهو. وكانت آثار تلك التوجهات النبوية بالغة الأثر على مجتمع المدينة وخاصة في إجادة الرمي، فقد شجع عليه النبيﷺ وفي الحديث الذي رواه ابن حبان عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ:" **خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَسْلَمَ يَتَنَا ضَلُونَ بِالسُّوقِ فَقَالَ: "ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ "، فَأَمْسَكُوا أَيْدِيَهُمْ، فَقَالَ: "مَا لَكُمُ ارْمُوا"، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَ بَنِي فُلَانٍ، قَالَ: "ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُم كلكم"**[4]

وممن اشتهر بحسن رميه أبو طلحة فكان إذا رمى تشرف النبيﷺ أي: تحقق نظره وتطلع عليه، والاستشراف أن تضع يدك على حاجبك وتنظر كالذي يستظل الشمس حتى يستبين الشيء،ولأبي طلحة موقف مشهود وتميز بان به في أحد،فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث،"**عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺمُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ، كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ القِدِّ،يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ**

---

[1] صحيح مسلم،57/4،رقم الحديث(2997).

[2] سورة الأنفال: 60.

[3] مسلم:صحيح مسلم،1522/3،رقم الحديث(167 – (1917).

[4] ابن حبان :صحيح ابن حبان،548/10،رقم الحديث(4694). إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين.

الجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: "انْشُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ" . فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى القَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي،لاَ تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ،نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ،وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ،وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا،تُنْقِزَانِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ، فَتَمْلَآنِهَا،ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ،وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلاَثًا[1]ومما ورد في الحث على الرمي حَدَيث عَبْد اللَّهِ بْن شَدَّادٍ، **(قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺيُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:"ارمِ فِدَاكَ أبي وأُمَي")**[2].

3- **أثر إدارة المعارك على تميز المجتمع المدني في الانتصارات:**

كانت خطوات النبيﷺ في سيره في إدارة المعارك بالغة الدقة،فقد استطاع بأعداد قلية هزيمة خصومه والتفوق عليهم في المفاجأة والحسم وقد أثرت إدارته في تشجيع أصحابه،على الاقتداء به وتطبيق خططه في إدارة المعارك،كما أنهﷺعمل بمشورة بعض أصحابه في التخطيط لميدان المعركة،وكذا استخدام بعض الوسائل الدفاعية التي لم تكن معهودة عند العرب،ومن النماذج على ذلك:

أ- أخذ النبي ﷺ برأي الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح في اختيار موقع معركة بدر،عندما سأل النبيﷺفي المنزل الذي نزله النبيﷺفي بدر،"أرأيت هذا المنزل،أمنزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال النبيﷺ: بل هو الرأي والحرب والمكيدة؟ يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ونغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملونشرب ولا يشربون"فاستحسن رسول الله ﷺهذا الرأي وفعله[3].

ب- وفي غزوة الخندق – الأحزاب-كانت لإشارة سلمان الفارسي- رضي الله عنه- على رسول الله ﷺباستخدام الخندق؛لأن الفُرْس كانت تستخدمه لصد تقدم العدو، يعد الخندق مانعاً صناعياً،ومفاجأة للعدو – قريش- فشكل بدوره عامل إحباط عندما وجدته وقد تميز الخندق بدقة متناهي فكان طوله 8 كيلومترات وعرضه 6 أمتار وعمقه 5 أمتار، وقد برع رسول اللهﷺفي تكوين ذلك المانع الهندسي للمساعدة على تسهل الدفاع عن المدينة وتقوية عزيمة أهلها

---

[1] صحيح البخاري:37/5،رقم الحديث(3811).

[2] صحيح البخاري:39/4،رقم الحديث(2905).

[3] نفس المصدر والصفحة.

أمام عدو يتمتع بقدرات عددية ومادية فوق قدرات مجتمع المدينة.وشكل الخندق تطوراً كبيراً في تكتيكات المعركة الدفاعية؛ لأنه لم يكن معروفاً في شبه الجزيرة العربية، وقد كان هذا الخندق أول تجهيز هندسي لموانع عسكرية في ذلك العصر، ثم أصبح إحدى أعظم التجهيزات الدفاعية في العصر الحديث، وخاصة أن ذلك الخندق تم اختيار موقعه في عنق المواجهة على طريق الاقتراب إلى المدينة. وقد كان لرسول اللهﷺالفضل ليس في عمل الخندق،وإنما في اختيار المكان والأبعاد الهندسية التي أمر بها بحيث لا يستطيع الأفراد ولا الفرسان اختراق ذلك الخندق[1].

ثالثاً- أثر التميز في تطور أساليب التعليم في عصر الرسولﷺ على المجتمع المدني:

دعا الإسلام إلى التعليم منذ بداية الوحي حيث إنّ الرسالة لم تبدأ بالدعوة إلى إقامة شعائر الإسلام من صوم وصلاة وحج وزكاة،ولا ببيان نظام التعامل الاقتصادي،ولا بمرتكزات الحياة السياسيّة ومقوماتها،ولا ببيان القيم الأخلاقيّة،ولا حتى ببيان أركان العقيدة،وإنما بدأ بمفتاح ذلك كلّه ومحور ذلك كلّه، بدأ بـ**(أَقْرَأْ)** [2].ففيها دعوة صريحة إلى القراءة والحثّ على التعلم، وتوجيه سديد من الخالق – غز وجل – لأهمية التعليم وتعظيم لأمره في الإسلام،إذ بدأ الوحي بالدعوة إلى القراءة باسم الله، وذكر القلم لأهميته في العلم والتعليم. ومثلت سيرة النبيﷺ بذاتها مسيرة للتعليم في عصرهﷺ،لقوله تعالى: **(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ أللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لّمَن كَانَ يَرْجُو أللَّهَ وَأَلْيَوْمَ أَلاْخِرَ وَذَكَرَ أللَّهَ كَثِيراً)**[3] ومعنى ذلك أنّ حياة **النبي**ﷺ منذ البعثة حتى الوفاة كانت سيرة تعليمية لتبليغ مفردات الإسلام جميعها لمن كان حوله من المسلمين. ولذا فقد حرص الصحابة – رضوان الله عليهم- على ملازمته ليلاً نهاراً،بل إنّ بعضهم نذر نفسه لملازمة الرسول ﷺملازمة دائمة مثل الصحابي الجليل أبي هريرة- رضي الله عنه-.وكانت مهمة النبي ﷺ هي تعليم الأمة كما قال:"**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**"[4] واستعان النبيﷺ في القيام بهذه الوظيفة ببعض الصحابة في المدينة لتعليم القرآن،ومنهم عبادة بن الصامت،وأبان بن سعيد بن العاص،وأبو عبيدة بن الجراح،وأسيد بن حضير، وخالد بن سعيد بن العاص،وكان عبد الله بن رواحة ومعاذ بن جبل يتوليان وظيفة التعليم في المسجد بعد أن يغادرهم النبي

---

[1] ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،180/1.

[2] سورة العلق:1

[3] سورة الأحزاب: 21

[4] البيهقي:السنن الكبرى ،60/7،رقم الحديث(13268) – أبو يعلى: مسند أبي يعلى،174/4، رقم الحديث(2253) وإسناده صحيح.

ﷺولذا نتج عن هذا الجهد من النبيﷺ وأصحابه – رضوان الله عليهم– تميز المجتمع المدني فكان ينبوع العلم المدينة ومنها انتشر وقد عمل النبيﷺ على نشر هذا العلم مستعيناً بعدد من الوسائل منها:–

1. طرح السؤال على المتعلم واستخدام الحوار والمناقشة والثناء والتشجيع لمن لاحظ تميزه:

ومن ذلك ما رواه ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَﷺ قَالَ: "**مَنْ يُخْبِرُنِي عَنْ شَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا"؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ فَمَنَعَنِي مَكَانُ أَبِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هِيَ النَّخْلَةُ" فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي فَقَالَ: لَوْ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَحْسَبُهُ قَالَ: حمر النعم**[1].

وقصد النبيﷺ من طرح هذه الأسئلة مشاركة المتعلم في التوصل للحل وكسب المعرفة وتشجيع كل من تميز في هذا الجانب وحثه على مواصلة طلب العلم،ومن تلك الاختبارات التي طرحها النبيﷺ على بعض أصحابه سؤالهﷺ لأبي بن كعب في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عَنْ أُبَيٍّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺسَأَلَهُ:"**أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟ " قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَرَدَّدَهَا مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ أُبَيٌّ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، قَالَ: "لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ** "[2] واستخدم النبيﷺ الحوار في مناسبات كثيرة ليشجع المستمع على الإدلاء بالرأي وخير مثال على ذلك موقفه ﷺمع الأنصار في غزوة حنين بعد قسمته للغنائم، فقد أعطى ﷺالمؤلفة قلوبهم وترك الأنصار، فبلغه أنهم وجدوا في أنفسهم، فدعاهم ﷺ ، وكان بينهم وبينه هذا الحوار الذي يرويه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺيَوْمَ حُنَيْنٍ،قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا،فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: "**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي" كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: "مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ" . **قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: " لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ** ﷺ **إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا،الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ،إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً،فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ** "[3].كما أن النبيﷺحرص على مراعاة النفوس فشجع وأثنى على من حرص على العلم أو نقله

---

[1] صحيح ابن حبان،478/1،رقم الحديث(243) والحديث إسناده صحيح.

[2] مسند الإمام أحمد،200/35،رقم الحديث(21278)، إسناده صحيح على شرط مسلم.

[3] صحيح البخاري،157/5،رقم الحديث(4330).

أو تفوق فيه أو برزت فيه ملامح التميز،والنفس أياً كان شأنها تميل إلى الرغبة في الشعور بالإنجاز.فقد كان لتشجيع النبيﷺأبلغ الأثر في دفع من تميز من أصحابه – رضوان الله عليهم – خطوات كبيرة إلى الأمام فبان أثره على مجتمع المدينة في حياة النبيﷺوبعد وفاته.ومن النماذج على تشجيع النبيﷺفي هذا الجانب الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه "**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ" أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**"[1].

2. **الاستطلاع والنظر بواسطة الملاحظة والزيارة:** لقد سعى النبيﷺإلى حث كل من تميز بمهارة صناعية أو حرفية على المحافظة على تميزه كما أنهﷺبذلك يحث الغير من الحاضرين على التميز في ذلك الجانب وهو ما فعله النبيﷺمع طلق اليمامي– الحنفي– في الحديث الذي رواه ابن حبان،"عَنْ قَيْسِ بْنِ طَلْقٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَنَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَقُولُ: "**قَدِّمُوا الْيَمَامِي مِنَ الطِّينِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِكُم لَهُ مَسًّا**"[2].كما أن النبيﷺقد شجع صحابته على الملاحظة وخاصة في جانب الظواهر الطبيعية من ذلك الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "**كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً – يَعْنِي البَدْرَ – فَقَالَ: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**"[3] **ثُمَّ قَرَأَ: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ)**[4].

3. **التدرج في التعليم:-**

لقد كان النبيﷺ رحيماً بأمته ومن يدرس سيرته يجد ذلك جلياً واضحاً فقد تدرج في تعاليمه وهو بذلك يوصي المسلم بعظم مهمته وعلو دوره في الحياة،وفي أثناء تعليمه ﷺلصحابته كان يتدرج معهم في ذلك التعليم ومن النماذج على ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: "**كُنْتُ امْرَأً قَدْ أُوتِيتُ مِنْ جِمَاعِ النِّسَاءِ مَا لَمْ يُؤْتَ غَيْرِي، فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ تَظَاهَرْتُ مِنْ**

---

[1] صحيح البخاري،31/1،رقم الحديث(99).

[2] صحيح ابن حبان،404/3، رقم الحديث(1122). إسناده قوي.

[3] صحيح : البخاري،115/1،رقم الحديث(554).

[4] سورة ،ق:39.

امْرَأَتِي حَتَّى يَنْسَلِخَ رَمَضَانُ، فَرَقًا مِنْ أَنْ أُصِيبَ فِي لَيْلَتِي شَيْئًا، فَأَتَتَابَعُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يُدْرِكَنِي النَّهَارُ وَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى أَنْ أَنْزِعَ، فَبَيْنَا هِيَ تَخْدُمُنِي إِذْ تَكَشَّفَ لِي مِنْهَا شَيْءٌ فَوَثَبْتُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَى قَوْمِي فَأَخْبَرْتُهُمْ خَبَرِي وَقُلْتُ لَهُمْ: انْطَلِقُوا مَعِي إِلَى النَّبِيِّﷺ فَأُخْبِرُهُ بِأَمْرِي فَقَالُوا: لَا وَاللهِ لَا نَفْعَلُ، نَتَخَوَّفُ أَنْ يُنْزِلَ فِينَا قُرْآنًا ، أَوْ يَقُولَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺمَقَالَةً يَبْقَى عَلَيْنَا عَارُهَا، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ النَّبِيَّﷺ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي فَقَالَ لِي: " أَنْتَ بِذَاكَ "، فَقُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ، فَقَالَ: " أَنْتَ بِذَاكَ "، فَقُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ، قَالَ: " أَنْتَ بِذَاكَ "، قُلْتُ: نَعَمْ، هَا أَنَا ذَا، فَأَمْضِ فِيَّ حُكْمَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي صَابِرٌ لَهُ، قَالَ: " أَعْتِقْ رَقَبَةً "، قَالَ: فَضَرَبْتُ صَفْحَةَ رَقَبَتِي بِيَدِي وَقُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ غَيْرَهَا، قَالَ: " فَصُمْ شَهْرَيْنِ "، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا فِي الصِّيَامِ، قَالَ: " فَتَصَدَّقْ "، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ بِتْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ وَحْشَا مَا لَنَا عَشَاءٌ، قَالَ: " اذْهَبْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ فَقُلْ لَهُ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ، فَأَطْعِمْ عَنْكَ مِنْهَا وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ سِتِّينَ مِسْكِينًا، ثُمَّ اسْتَعِنْ بِسَائِرِهِ عَلَيْكِ وَعَلَى عِيَالِكَ "، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي فَقُلْتُ: وَجَدْتُ عِنْدَكُمُ الضِّيقَ وَسُوءَ الرَّأْيِ، وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺالسَّعَةَ وَالْبَرَكَةَ، قَدْ أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ فَادْفَعُوهَا لِي، قَالَ: فَدَفَعُوهَا إِلَيَّ"[1]

رابعاً- أثر التميز في تطور الجوانب الاقتصادية والتكافل الاجتماعي في عصر الرسولﷺ ودورها في تنمية قوة المدينة:-

أحدثت هجرة النبيﷺتحولاً جوهرياً في حياة مجتمع المدينة وخاصة في الحالة الاقتصادية،فبدلت القوانين والأعراف الجاهلية بقوانين الشريعة الغراء التي نظمت صور المعاملات الاقتصادية،فتحسنت حالة المجتمع المعيشية لأن النظم التي حكمت المدينة جعلت منها نموذجاً للتعاون والتكافل مما مهد لبروز قوة المدينة الاقتصادية ومن أبرز ما تميز به مجتمع المدينة في جوانب التكافل تطبيقه القوانين الربانية والنبوية ومن النماذج على ذلك:

1. مدح النبيﷺللأشعريين لتميزهم بالتكافل وهو بذلك يحث المجتمع المدني على تقليدهم،فقد روى البخاري في صحيحه،عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ**

[1] مسند الإمام أحمد،26/347-349،رقم الحديث(16421).

مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ"[1]. وعندما يلتزم المجتمع بهذه القاعدة يجد التكامل الاجتماعي بارزاً في المجتمع بحيث تتحقق فيه جميع مضامينه، ذلك أن الإسلام قد أهتم ببناء المجتمع المتكامل وحشد في سبيل ذلك جملة من النصوص والأحكام لإخراج الصورة التي وصف بها الرسول ﷺذلك المجتمع بقوله :"**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"[2]لذا : فإن التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس مقصورا على النفع المادي وإن كان ذلك ركن أساس فيه –بل يتجاوزه إلى جميع حاجات المجتمع أفراداً وجماعات، مادية كانت تلك الحاجة أو معنوية أو فكرية على أوسع مدى لهذه المفاهيم، فهي بذلك تتضمن جميع الحقوق الأساسية للأفراد والجماعات داخل الأمة والتكافل الاجتماعي في الإسلام ليس معنياً به المسلمين المنتمين إلى الأمة المسلمة فقط ، بل يشمل كل بني الإنسان على اختلاف مللهم واعتقاداتهم داخل ذلك المجتمع كما قال الله تعالى :(لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [3]

2. تميز جعفر بن أبي طالب بالكرم في إطعام الطعام وقد وصفه أبو هريرة بأنه أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ في الحديث الذي رواه البخاري،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**أَنَّ النَّاسَ، كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺبِشِبَعِ بَطْنِي حَتَّى لاَ آكُلُ الخَمِيرَ وَلاَ أَلْبَسُ الحَبِيرَ، وَلاَ يَخْدُمُنِي فُلاَنٌ وَلاَ فُلاَنَةُ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالحَصْبَاءِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الآيَةَ، هِيَ مَعِي، كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِب، كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا العُكَّةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا**"[4].

3. تميز أبي الدحداح بالعطاء والإنفاق،وثناء النبيﷺ بإقدامه على التنازل عن حديقته مقابل الحصول على الثواب كما وضح ذلك الحديث"**عَنْ أَنَسٍ،أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً،وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا،فَأْمُرُهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ " فَأَبَى، فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. فَفَعَلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ: يَا رَسُولَ**

---

[1] صحيح البخاري،138/3،رقم الحديث(2486).

[2] صحيح البخاري،10/8،رقم الحديث(6011).

[3] سورة ،الممتحنة:8

الله، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي. قَالَ: " فَاجْعَلْهَا لَهُ، فَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ " قَالَهَا مِرَارًا. قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ، فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَتْ: رَبِحَ الْبَيْعُ. أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا"[1] وما قام به أبو الدحداح يعد من الأعمال التطوعية لم يلزمه بها الشرع إنما حبه لمرضاة الله هي الدافع،وأما الوسائل الإلزامية للتكافل فقد حث عليها الشرع ومنها على سبيل المثال لا الحصر: فريضة الزكاة : وهي من أهم هذه الوسائل، وهي فريضة إلزامية فرضها الله على المسلم دينا وجعل للدولة الحق في أخذها منه قهرا إذا هو امتنع عن أدائها. وتأتي أهمية الزكاة من حيث شمولها لمعظم أفراد المجتمع ومن حيث أهمية المقدار وتساهم بحل المشكلات الاجتماعية الناتجة عن الفقر وأما آثارها المعنوية فهي تنفي من المجتمع الأحقاد والبغضاء ومن هنا نجد أن التكافل الاجتماعي قد جعل المجتمع المدني يشارك في المحافظة على المصالح العامة والخاصة للمدينة وتسابق الصحابة إلى عمل الخير والإنفاق في وجوه البر طمعاً فيما عند الله – عز وجل. ولذا كان المجتمع الإسلام في المدينة مطبقاً للإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاماً وخلقاً وسلوكاً وفقا لما جاء به كتاب الله والسنة نبيهﷺ .

ومن خلال ما سبق يمكن للباحث التوصل إلى النتائج التالية:

1. كان للتشجيع المادي والمعنوي من الرسولﷺأثره في تميز مجتمع المدينة في النواحي العلمية والعسكرية والقيادية والإدارية.
2. لم يقتصر التميز على شريحة معينة من أفراد مجتمع المدينة بل شمل كل شرائح المجتمع.
3. أثر ت تعليمات النبيﷺفي مجتمع المدينة في جوانب الحياة اليومية فبرز التعاون والتكافل بين أبناء ذلك المجتمع مما جعل ذلك المجتمع من أسعد المجتمعات في جزيرة العرب.
4. أثر التميز على التطور في الجوانب العسكرية مما أدى إلى تكتيكات عسكرية لم تكن معهودة عند العرب من استخدام الموانع الصناعية ومن ذلك حفر الخندق.
5. على القادة والإداريين أن يقتدوا بسنة النبيﷺلأن في ذلك إصلاح وتطور لأحوال المجتمع مما يجعل المجتمعات أكثر رخاءً وأمناً.

[1] مسند الإمام أحمد،464/19 رقم الحديث(12482) إسناده صحيح على شرط مسلم.

المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر:

1. الأزرقي:أبو الوليد محمد بن عبد الله (250هـ).

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار،تحقيق:رشدي ملحس ط/1415هـ،دار الثقافة،مكة

2. الإصطخري:أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت/346هـ).

المسالك والممالك ،ط/1381هـ،دار القلم،القاهرة.

3. البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(**256هـ**).

صحيح البخاري،ترقيم فؤاد عبد الباقي،ط/1422هـ،دار الطوق التجارية.

4. البيهقي:أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت/458هـ)

السنن الكبرى ،تحقق: محمد عبد القادر عطا،ط3/ 1424 هـ - 2003 م،دار الكتب العلمية، بيروت.

5. ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، البُستي (ت/ (354 هـ).

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت/ 739 هـ)،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط،ط/1408 هـ - 1988 م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

6. ابن حزم:أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت/ 456هـ).

جوامع السيرة ،تحقق : إحسان عباس،ط/ دار المعارف - مصر.

7. الحموي:ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت/ 626هـ).

معجم البلدان ، ط / 1979م ،دار صادر ، بيروت .

8. ابن حنبل:أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت/241هـ).

المسند،تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط/1421 هـ - 2001 م،مؤسسة الرسالة.

9. الحميري: الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت/866هـ).

الروض المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي، تحقيق: د/ إحسان عباس ، ط/1975م ، مكتبة لبنان،بيروت.

10. السمهودي : نور الدين على بن أحمد(ت/921هـ)

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق:قاسم السامرائي،ط/1422هـ،دار الغرب،بيروت.

11. ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن عبد الله بن يحيى (ت/734هـ)

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،ط/ 1406هـ-1986م، مكتبة القدسي للطبع والنشر والتوزيع.

12. السهيلي:أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت/ 581هـ).

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،تحقق : عمر عبد السلام السلامي،ط/ 1421هـ- 2000م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

13. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت/ 911هـ)

الدر المنثور في التأويل بالمأثور.

14. ابن شبة :أبو زيد عمر النميري(ت/262هـ).

تاريخ المدينة،تحقيق:فهيم شلتوت،ط/1410هـ،دار التراث العربي،بيروت.

15. الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت/ 310هـ).

تاريخ الأمم والملوك ،تحقيق:محمد أبو الفضل،ط/1380هـ،دار سويدان،بيروت.

16. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي(ت/ 463هـ).

الدرر في اختصار المغازي والسير،تحقيق : الدكتور شوقي ضيف،ط/1415 هـ – 1995 م ،وزارة الأوقاف المصرية – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –القاهرة.

17. العصامي:عبد الملك بن حسين(1111هـ)

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،تحقيق:عبد الموجود وآخرون،ط/1419هـ،دار الكتب العلمية،بيروت.

18. الفاكهي:محمد بن إسحاق بن العباس(ت/279هـ)

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه،تحقيق:عبد الملك دهيش، ط2/1414هـ،دار خضر،بيروت.

19. ابن فهد:النجم عمر (ت/885هـ)

إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق:فهيم شلتوت:ط/مكتبة الخانجي،القاهرة.

20. الفيروز أبادي: أمجد الدين محمد بن يعقوب (ت/ 817هـ).

المغانم المطابة في معالم طابة،ط/1423هـ،مركز دراسات المدينة المنورة.

21. ابن كثير:أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت/ 774هـ).

تفسير ابن كثير، تحقيق:سامي بن محمد سلامة،ط2/1420هـ–1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

22. ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت/ 273هـ)،

سنن ابن ماجه،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار إحياء الكتب العربية.

23. المرجاني:عبد الله بن عبد الملك (ت/781هـ)

بهجة النفوس والأسرار في تاريخ هجرة دار المختار ،تحقيق:محمد شوقي،ط/1425،مطبعة النرجس،الرياض.

24. المراغي:زين الدين أبو بكر بن الحسن(618 هـ).

تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق:محمد الأصمعي،ط2/1401هـ،المكتبة العلمية،المدينة.

25. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت/ 261هـ).

صحيح مسلم،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،ط/دار إحياء التراث العربي،بيروت.

26. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت/ 711هـ).

لسان العرب،ط/2004م، دار صادر، بيروت.

27. ابن هشام:أبو محمد،عبد الملك بن هشام الحميري (ت 218هـ).

السيرة النبوية، تحقيق:عادل عبد الموجود،وآخرون،ط/1419،الرياض.

28. أبو يعلى:أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي(ت/ 307هـ).

مسند أبي يعلى، تحقق: حسين سليم أسد،ط/ 1404 هـ 1984 م ،دار المأمون للتراث – دمشق.

ثانياً- المراجع:

1. حسن خالد.

مجتمع المدينة قبل الهجرة وما بعدها، ط/1406هـ،دار النهضة، بيروت.

2. الشريف:أحمد إبراهيم.

مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسولﷺ ،ط/1965م،دار الفكر العربي،بيروت.

3. شكران خربوطلي.

الحياة الاقتصادية في المدينة ،مجلة دراسات تاريخية العدد(55)،سنة 1996م.

4. صالح لمعي.

المدينة المنورة، ط/1998م،دار النهضة،بيروت.

5. عبد العزيز العمري.

الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسولﷺ ،ط/3 1420هـ،دار أشبيليا ،الرياض.

6. محمد الطيب النجار.

القول المبين في سيرة سيد المرسلين ،ط/دار الندوة الجديدة ،بيروت.

7. **محمد الخطراوي.**

المدينة في العصر الجاهلي،ط2/1402هـ،مؤسسة علوم القرآن،دمشق.

8. نجمان ياسين.

تطور الأوضاع الاقتصادي في عصر الرسالة والراشدين،ط/1411هـ،وزارة الثقافة والإعلام،بغداد.

9. د/نبيه عاقل.

تاريخ العرب القديم وعصر الرسولﷺ،ط3/1403هـ-1983م،دار الفكر.

10. وليد بن بليهش العمري.

السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ،ط/مجمع الملك فهد المدينة المنورة.